السبت ٢٩/١٢/٩

خرجنا، اختي جليا، ودبه، وهالة، وأنا، الى المقبرة، فنثرنا الزهور بينها المنفسج والياسمين، وذرفنا الدموع فرشنا قطعنا من القبور بالتراب الأحمر المكربل، وقد جاء باوس بستانجي مقبرة الطائفة اليونانية، وغرس عدد من القطع من امام "الحوصلبان" وسنشغل بهذه القطعة شيئاً فشيئاً لنكون مزرجاً بنا بعيداً عن غيرنا

∴

حلت الليلة التي لقيت ابا الحسن محمد علي الطاهر قادماً من مصر فتعانقنا وبكينا مع ام سوني

في مثل هذه الليلة من عام ١٩١٧ عند نصف الليل والجيوش الانكليزية على ابواب القدس، وقد كنت في المسجد في العمارة الرديئة، جاء نفر من الجند العثماني فايقظونا وكبلونا بالحبال وساقونا الى اريحا ومنها الى درعا ثم الى دمشق، وكنت احس ونحن ماشون في جنح الظلام الدامس اننا مسوقون للموت، وكم تمنيت لو اموت في طريقي لاستريح من هذا الذل ومن الم القدم، ولم يهدأ عيني الخطب الا بصباح امل بالمقاء القريب او البعيد

اما الآن وقد ذهب الامل فاني احس اني سائر في الظلام الى الموت، لقد كانت حياتي ادبا انشد فيها نشيد الوشاد، اما الآن فقد وصلت الى قول سليمان "باطل الاباطيل الكل باطل"

لهذا الموضوع

اخذت منذ حين اكتب تاريخ حياتنا في هذا الكتاب وغيره، من غير ترتيب، وقد حدثتني النفس اخيرا ان اعيد النظر في ما كتبت، وان استعين بيومياتي القديمة، واجعل الحديث متسلسلا بحسب تاريخه. فاقول:

اعتاد ابي رحمه الله ان يؤرخ حوادث البيت من مولد او وفاة او زواج على حواشي "السواقيه" وهو كتاب فروض الصلاة عند الروم الارثوذكس، وما جاء في تلك الحواشي ما انقله هنا بحرفه:

"في هذا النهار الثاني الذي هو العاشرين شباط كانون الثاني سنة ١٨٧٨ (الثامنة والسبعين والثماني منه والالف) كان مولد خليل بن قسطندي الكابتن، وذلك قبل الثلاثاء الساعة. نسأل الله تعالى ان يجعله طويل العمر، والرب يرضى عليه"

وقد سميت خليلا على اسم اخي البكر الذي توفي ولد في الثامن والعشرين من شهر تموز ١٨٦٦ وتوفي طفلا،

اقدم ما اتذكر من ايام طفولتي ما يأتي نقلا عن صفحة من يومياتي لسنة ١٩١٩ في الثالث والعشرين من كانون الثاني:

كنا نعيش في دارنا القديمة في داخل المدينة، وكان شعري احمر يلون شعر سري سلطانة البروم، وانه كان مرسلا بحيث كان

بصغر كما يصغر شعر البنات ، وانني كنت سمينا بحيث كنت
مع قصري كما ذكرت اتدحرج تدحرجا ، ومما اذكره في هذه السن
اني دخلت بوما احد البيوت المجاورة فتسلقت الدرج وكان عاليا
فلما وصلت الى الدرجة الاخيرة زلت قدمي فتدحرجت من الاعلى الى
الاسفل واصابتني جراحة في راسي ،

وقد كنت العب مع اخوتي واخواتي وبنات عمي في حوش الدار ، ونملأ
الجو ~~حبلنا~~ باصواتنا ، وكنا في لوحيان الكثيرة نمثل حفلات
الاعراس ،

وقد كانت لنا دار في خارج المدينة في حي المصرارة ، ولعلها اقدم دار
بنيت في تلك الناحية من المدينة ، فكنا نسكنها سنة ونخليها سنة
ولعلنا كنا نخليها فرارا من البعوض الذي كان يكثر في الدور
الواقعة خارج المدينة ، ويقل في الدور الواقعة في داخل المدينة ،
وقد كنا ننام في غرفة واحدة نمد لنا الفراش على الارض ، وكنا دائما
انام بجانب اختي فردوس ، وقد اتفقنا ان اقص عليها حكاية
مما سمعته من عمي او امي او جدتي او مما التقطه لساني في هذه
الليلة فتقص علي مثلها في الليلة التالية

وكانت للمرسلين الانكليز مدرسة للبنات في جوارنا كنت
اذهب اليها مع اختي فردوس وبنات عمي ، وقد رأت امي مؤرائي
بالذهاب الى المدرسة ان تعطي المعلمة مبلغا جميلا قطعة
نقود نحاسية واسمها "كبك" لتنفقها لي في آخر النهار مع

سبيل المكافأة، فكنت احمل هذه القطع قرضاً بها، فاذهب
الى ابي، فتعود امي الى ارسالها في اليوم التالي، الى ان تبرمت
المعلمة المذكورة، ~~ولم تعد لي~~ واوازاذن ان تخبر امي هذا الكتاب
فقالت ذات يوم خذ هذا
الكتاب واشتر به ما اطلبه منك القريبة ملبساً"

(ستأتي البقية)

بعد ان كتبت الفصل السابق خطر لي ان لا ادعه ان اكتب تاريخنا
في كتاب برأسه، وان اخصص هذا الكتاب لحوادث كل
يوم، ذلك خير من ان اخلط موضوعاً بموضوع

لم ألق درسا اليوم في المدرسة لبحة اخذتني في صوتي في
هذه الايام مع اثر زكام شديد. فلزمت البيت اكتب
واقرأ.

زارني قبل الظهر اوستاذ الياس الحداد فمشيت معه في حديقتنا
واريته شجرتي الزيتون، كيف كانتا عودي حطب، وكيف
دبت فيهما الحياة فنبتت فيهما اغصان كثيرة جديدة. وتذكرت
ما كنت اقوله لك في ايام مرضك الاخيرة من اخلق عن نفسك
الاطمئنان. انظري يا ام سري كيف عادت الحياة الى الزيتونتين

بعد ان بسنا وكدنا نفلعها فنحن من ابناء الجبال ، تذكرت
ذلك فخنقتني العبرة

زارنا بعد الظهر السيدة كانبكوديب ، ثم زارنا الاستاذ عادل
جبر والاستاذ الياس حداد ، وبينما نحن جلوس دخل علينا
فرج الله ، فتعانقنا وكدت ابكي ولكنني تجلدت ، وانا اهم
فاقبل على الجميع يحادثهم ويباسطهم بمعاشرة كانه لم يعلم بمصابنا
ولشك انه لا تروقه هذا الاسلوب فلا يثير الحزن من جديد ، لاسيما
وقد تأخر زيارة الى اليوم .

كلفتني قبل اليوم السيد ملتيادي عبده ان يكبر صورتين
الواحدة لك وحدك والثانية لك ولدبه وهاله ولي ، وكلتاهما
من الصور الاخيرة . فجاء اليوم بحملها فلما وقع النظر عليها
عرتنا هزة الم ، ووقعت له اغني نصف جنيه عنها ،